



يتبع سوريون كثيرون ومهتمون بالأزمة السورية تطورات الاجتماعات والاتفاقات الدولية التي تعقد وسط غياب كامل لجميع الأطراف والقوى والشخصيات السورية، آملين من هذه اللقاءات التوصل إلى حل سياسي للأزمة بعد قرابة خمس سنوات على انطلاق الثورة السورية، ما أشاع جوًّا من الأمل مرة أخرى، بعد غياب طويل نسبياً، نتيجة إخفاق سلسلة لقاءات جنيف، لحل الأزمة السورية، فهل نحن مقبلون،اليوم، على مرحلة إنهاء الأزمة السورية، أم على إخفاق "مسار فيينا".

لمحاولة لاستقراء نتائج هذه اللقاءات، علينا في البدء ملاحظة سيطرة مشهد الصراع الدولي على سوريا، بدلاً من مشهد تطورات الثورة الشعبية السورية، فقد تحول المشهد الدولي من مشهد الدول المعارضة للنظام السوري والدول الداعمة له إلى مشهد الدول المتقابلة أو المتنازعة، بغية السيطرة على الأرض السورية وخربيتها السياسية. وعليه، يمكننا استنتاج أن أهداف الدول المتنازعة فيينا 1 و 2 ولقاء نيويورك هي لحل النزاع الدولي، لا لحل الأزمة السورية. وبمعنى آخر، هي محاولة لاتفاق على الدولة، أو الدول صاحبة النفوذ والسيطرة والمرجعية، بما يخص الشأن السوري، وربما كامل المنطقة، فقد تراجع الدور الأميركي في المنطقة العربية، استناداً إلى السياسة الأميركية الجديدة المتبعة في مرحلة ما بعد الأزمة الاقتصادية العالمية، نتيجة تبعاتها على الاقتصاد الأميركي، فالسياسة الأميركية الحالية تتجه نحو التركيز على المناطق الأهم للاقتصاد الأميركي، مثل شرق آسيا، نتيجة تزايد خطر نمو الاقتصاد الصيني. وقد جعلها هذا التراجع قادرة على المناورة، عبر التنازل عن بعض الدول لمصلحة روسيا التي تريد أن تكون حليفتها، كما يجري في سوريا. وقد أدى ذلك الانسحاب الأميركي من المنطقة إلى تنامي الآمال والطموحات الدولية لوراثة التركيبة الأميركية عبر استغلال دول عديدة أزمة الثورة السورية مدخلاً للصراع على سوريا والمنطقة، وهو الصراع الدائر بعدم مبالاة أميركية ظاهرياً، ويتجلى بالظواهر التالية:

التوترات الإقليمية، الحاصلة بين عدة قوى وخصوصاً إيران، المملكة السعودية، قطر، وأحياناً تركيا. وهو ما نجده جلياً في

تنامي المخاوف الخليجية من حدود الدور الإيراني في المنطقة في مرحلة ما بعد الاتفاق النووي من جهة، ومن جهة أخرى عبر الإقرار الدولي للتدخل العسكري السعودي في الأزمة اليمنية لتشهد العلاقة الإيرانية – السعودية خصوصاً مرحلة صدامية شبه مباشرة في اليمن، العراق، لبنان، والأهم سوريا، كونها الصراع الأشد والأكثر تأثيراً على مجمل الصراع الدائر في باقي الدول العربية المذكورة سابقاً.

تزايد المطامع الاقتصادية لدى كل من الروس والأترال وبعض دول الاتحاد الأوروبي في سوريا مدخلاً للسيطرة والنفوذ الاقتصادي على كامل المنطقة، خصوصاً بعد اكتشاف حقول الغاز في الساحل السوري، والأهمية الجغرافية للساحة السورية عمراً وحيداً لبدء الشراكة الأوروبية مع المنطقة العربية، ومنها مد خطوط الغاز القطبية نحو الدول الأوروبية، وتأثيرها على الصادرات الروسية منه، وذلك من خلال الإقرار إعلامياً للخارجية الروسية بأنها الطرف الوحيد القادر على حل الأزمة السورية، بينما تشجع وتدفع باقي الدول إلى توسيع نشاطاتها العسكرية، لفرض الإرادة الأميركيه من خلالها ضمن إطار الحل المزمع فرضه.

وبالتالي، تحولت الأزمة السورية إلى ستار يحجب خلفه نزاعاً دولياً غير قابل للقسمة على اثنين، فكيف تم القسمة على جميع الدول المنخرطة فيه، وكل منها تحمل غaiات وأهدافاً متباعدة ومتضادة، وبآمال وطموحات غير محدودة، جاءت ونمـت نتيجة غياب الجسم السياسي المعبر عن طموحات الثورة السورية وآمالها من جهة.

ومن جهة أخرى، نتيجة لتراجع الدور الأميركي في المنطقة (غير المأسوف عليه)، لتزيد التدخلات والصدامات، مثل حادثة إسقاط القوات الجوية التركية الطائرة الحربية الروسية أخيراً، وما تبعها من حدوث تقارب اقتصادي بين تركيا وال سعودية، في نوع من أنواع الرد على العقوبات الاقتصادية، بالإضافة إلى عقد مؤتمر المعارضة السورية في الرياض، بترتيب سعودي، فضلاً عن الغارة الروسية التي استهدفت أحد أبرز القادة العسكريين المحسوبين على المملكة السعودية، زهران علوش، والكثير الكثير من أشكال التصعيد الدولي، والتي تظهر نتائجها تباعاً على الأرض السورية.

وهناك أمثلة عديدة على ذلك، كالتحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب، والدعم الأميركي لجيش سوريا الديمقراطية، والتحركات العسكرية التركية على الحدود التركية السورية والعراقية، وتوجهاتها المستمرة في كلا البلدين.

تدفعنا خارطة النزاعات الدولية إلى الاعتقاد بأن الأوان لم يحن بعد لحل النزاع الدولي على سوريا، وما اللقاءات الأخيرة سوى ستار إعلامي لحجب القنوات الدولية الحاصلة عبر الضربات الخفية والمتبادلة، أو كما يقال بالعامية عبر الضرب من تحت الحزام، والتي وصفها الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، سابقاً بالطعن في الظهر، حيث تشير الأحداث إلى تصعيد في النزاع الدولي، وزيادة في العنف الممارس، والتوجه نحو الضرب شبه المباشر للقوات والرموز والشخصيات التابعة، أو المقربة من الدول الإقليمية والدولية الأخرى. وبمعنى آخر، أصبح النزاع الدولي، في مرحلة ما بعد التدخل الروسي العسكري المباشر، أكثر وضوحاً وفجاجة وصادماً. وعليه، نحن مقبلون على تأجيل جديد لخطوات حل النزاع الدولي (ما يدعى إعلامياً حل الأزمة السورية).

المخرج الوحيد والأمثل للأزمة السورية يقوم بالعمل على وضع مشروع وطني سوري متكامل، اقتصادي سياسي اجتماعي، بشكل مستقل عن جميع التدخلات الدولية المذكورة سابقاً، على قاعدة رفض جميع أشكال التدخل في مستقبل سوريا، وبمضمون يعبر عن آمال الثورة السورية وأهدافها، وطموحات الشعب السوري، بتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية.

